الأسس النظرية لترجمة النصوص الدينية

صادق ابراهيمي كاوري
جامعة آزاد الاسلامية / فرع آبادان
ايران

Abstract

The theoretical foundations for the translation of religious texts) In view of the significance of accuracy in translation of religious texts, this paper briefly discusses the theoretical foundation of translation. Then two approaches toward translatability or untranslatability of religious texts are introduced.

According to the first approach, based on a belief that there exists a relationship between religious texts and the divine revelation and that it is out of the reach and authority of humans to determine to translate religious texts.

Relying on the arguments set forth by these two approaches, a third approach is proposed in this paper, trying to observe the requirements and limitations prescribed by these two contradictory approaches. According to this view, the so-called "conditional translation of religious texts".

Key words:
Religious texts, conditional translation, limitations of translation.

على المترجم للنصوص الدينية – و ذلک بسبب الحساسيات الموجودة حول هذه النصوص_ الأخذ بجانب الحذر و التدقيق الشديد فی اختيار الألفاظ فی اللغة المترجَم اليها.

و من هذه المنطلق من خلال هذه الدراسة سنحاول أولاً أن نأتي بآراء العلماء حول إمكانية ترجمة النصوص الدينية أو عدم إمكانيتها؛ إنطلاقاً من هذا الرأى القائل : ان صلة هذه النصوص تكون مباشرة بلغة الوحى حيث تعيين ظرفاً للغة الوحى و التصرف فيه خارج من الطاقة البشرية فترجمة هذه النصوص أمرٌ مستحيلٌ.

و أما الفئة الثانية فهى القائلة بضرورة نشر كلام الوحى بين جميع البشر و عدم تحديد رسالة الوحى(التوراة،الانجيل،القرآن الكريم و...) بمتكلمين للغة متعينة فترجمة هذه النصوص أمرٌ ضرورى لا محيد منه.

ولكن بين هذا الرأى و الثانى ظهرت نظرية ثالثة غايتها التوصل الى ترجمة، نظراً الى الظزوف المطروحة من قبل الفئتين السابقتين، تؤلف بينهما و هى التى تعرف بالنظرية الثالثة القائلة بـ« إمكانية ترجمة النصوص الدينية المشروطة» conditional (translatability of religious texts) التى تركز على عنصرين هامين فى ترجمة هذه النصوص هما : الف: السياق(context):و ذلک لأن معرفة السياق و تحليله(contextual analysis) -لاسيما في النصوص الدينية-له شأن خطير و لعل أبسط الأخطاء في هذا المجال يؤدي الى تحريف وتصرف في المحتوى.و العنصر الثاني هو: ب:الثقافة: و نعني بها لغة الثقافة(cultural language)أي اللغة المستخدمة في الكتابة فهي تتغير من ثقافة الى ثقافة و قد تسبب عوائق صعبة في طريق المترجم لايجاد ما يعادله في النص المترجَم.

المفردات المفصلية: الترجمة،النصوص الدينية،المترجم،الوحي.

المدخل

نسعى من خلال هذا المقال و على شكل و ترتيب خاص أن نبحث حول أصول ترجمة النصوص الدينية، بداية بالبحث حول امكانية ترجمة النصوص الدينية و من ثم ميزات المترجم الذي يقوم بترجمة هذه النصوص،ثم ميزات و مؤثرات النصوص الدينية و

تقسيماتها حسب مكانتها و قدسيتها في المجتمع الديني و في النهاية ذكر أهم نتائج هذه الدراسة.

توجد آراء متنوعة حول امكانية ترجمة النصوص عامة أو عدم امكانيتها و يعود ذلك الى أن الترجمة عملية إدراك واستيعاب لكلّ من مكنونات النص في اللغة المصدر، وما يقابلها في اللغة الهدف، وتقعُ هذه المكنونات تحت تصنيفِ الحضارة أو الثقافة، و ذلك لأن اللغة تُعتَبرُ وثيقة حضارية أو ثقافية، وما الترجمة إلا عملية تفاعلٍ بين حضارتين، وهكذا فإن ترجمة المفردات والجُمَل قد لا يمكنُ لها أن تفيَ بما تتطلبُهُ عمليةُ التفاعل هذه.

فمن هذا المنطلق نقسم آراء العلماء في هذا المجال الى فئتين كبيرتين تضم جميع الفرق،هما:الفئة الأولى القائلة بعدم امكانية ترجمة اللغات و هم مؤيدو فرضية ورف(**Benjamin lee whorf**) التي تتخلص بالقول إن لغة المرء هي التي تحدّد،كلياً أو جزئياً،إدراكه للعالم الخارجي و تنظيمه لهذا العالم في ذهنه،و البنيويون استنادا على الدلائل الموجودة على الفوارق الجذرية بين اللغات؛و الثانية القائلة بامكانية ترجمة النصوص و هم چامسكي و كل من يعتقد بفطرية اللغات و أن اللغات على الرغم من فوارقها الظاهرية، ترجع جميعها الى أصول و مباني متحدة.

اما الغاية من هذه الدراسة،عدا الآراء القائلة بامكانية الترجمة أو عدمها عامة، فهي ترتكز على امكانية ترجمة النصوص الدينية،بسبب ميزاتها الخاصة، أو عدم هذه الامكانية حيث تتطلب دراسة خاصة أي بالأدق: بما أن النصوص الدينية متصلة،مباشرة أو غير مباشرة،بالوحي، هل هي قابلة للترجمة أم لا؟ و إن كانت قابلة للترجمة فما صلة النص الأصلي(المنقول) بالنص المترجَم(المنقول اليه) حيث النصوص الدينية، لاسيما النص القرآني، مختلفة تماما عن سائر النصوص و متشابهة معها من جهات؟ و ما هي الأمور التي تحدد ترجمة هذه النصوص؟

امكانية ترجمة النصوص الدينية أو عدمها

من النصوص ما تبدو عبقريته في طريقة تأليفه، أو في لغته، أو في تراكيبه وتعبيراته، أو في بلاغته، أو في دقة ألفاظه وتعمّد استخدام مفردات معينة بدلالات لغوية لا يمكن غض الطرف عنها. و منها لغة انسانية عموماً لغة قد يشوبها النقص، فلو أردنا أن نجعل النص الديني في إحدى الفئتين فنستطيع من جهة أن نجعل النص الديني، نصا كباقي النصوص بما أنه نص لغوي و ذلك يرجع الى أن النص الديني، ظهر على شكل لغة انسانية فهو لغة كسائر اللغات، و كل ما يصدق على اللغات الأخرى يصدق عليه، و من ناحية أخرى يمتنع علينا جعل النص الديني نصا لغويا كسائر النصوص لأنه لغة وحي أو متصلة بالوحي فيجب أن تتميز هذه اللغة عن سائر اللغات.

فمن هنا علينا أن نجعل حدا للتعريف بالنص الديني على أنه كلام و مفاهيم ربّانية صيغت من قبل الله في ظرف لغوي انساني؛لذا نرى تكررت هذه الآية في سورة القمر ثلاث مرات في خلال خمس عشرة آية(17و22و32) ((ولقد يسّرنا القرآن للذكر)) و قد ورد في تفسيرها((التيسير التسهيل و تيسير القرآن للذكر هو إلقاؤه على نحو يسهل فهم مقاصده للعامي و الخاصي و الأفهام البسيطة و المتمعقة كل على مقدار فهمه))(مختصر الميزان/ج6/ص136).

ومن ناحية أخرى تثبت هذه الآية أن المفاهيم القرآنية أوسع و أعمق مما هي عليه في هذه الالفاظ الظاهرية لأن هذه الألفاظ استخدمت كظرف لغوي لتسهيل استيعاب كلام الوحي؛ و الله هو الذي اختار هذا الظرف اللغوي لتنزيل وحيه، فلو استبدل بشريٌ هذا الظرفَ اللغوي بظرف لغوي آخر،لربما المظروف الجديد لا يتسع لجميع المفاهيم و المعاني و الشكل حتى.فمن هذا المنظار نتوصل الى أن عملية ترجمة النصوص الدينية كالقرآن الكريم،غير ممكنة.

هذا من حيث النص و أما من ناحية المترجم فنعرف أن لكل نص مترجَم،مترجم و لهذا المترجم ظروف خاصة وإن لم تتوفر جميع الشروط اللازمة فيه قد لا تنجح عملية الترجمة و من أهم تلك الشروط، فهم و استيعاب الدقيق للنص قبل القيام بعملية الترجمة، و مَن من المترجمين يدعي هذا الأمر، على الأقل، ادعاء الفهم التام للقرآن الكريم؛فمن هذا الحيث أيضا ترجمة النصوص الدينية كالقرآن الكريم أمر غير ممكن.

فلو غيّرنا زاوية نظرتنا الى المسألة و طرحنا الأسئلة التالية: هل النص الديني كالقرآن يختص بقوم كالعرب دون الآخرين؟ و هل مخاطبو القرآن العرب فقط؟ و هل القصد من ((الناس)) في القرآن الكريم العرب دون غيرهم؟ أم خطاب القرآن الكريم يشمل البشرية بجميع لغاتها ؟بالطبع هذا هو الأمر الأكثر قبولا و عقلانية.و دون شك، تأييد هذه النظرة و الزاوية امكانية الترجمة،و تؤدي الى ضرورة ترجمة النصوص الدينية.

فالمزج بين هاتين النظرتين: النظرة القائلة بعدم امكانية ترجمة النصوص الدينية(مثلما كان يدعيه الكاثوليكيون في ترجمة الكتاب المقدس)،و النظرة القائلة بامكانية ترجمة هذه النصوص(هذا ما يوافق رأي البروتستان في ترجمة الكتاب المقدس)،قد يوصلنا الى نظرة ثالثة و هي أن النصوص الدينية قابلة للترجمة غير أن ترجمتها تتطلب عناية فائقة و نوعا خاصا من الترجمة تسمى بالترجمة المشروطة(conditional translation)، و ذلك يعني أن ترجمة هذه النصوص ممكنة تحت شروط و ظروف خاصة و من يقوم بترجمة هذه النصوص أيضا يحمل ميزات و صفات اضافية لما يحمله الآخرون من المترجمين و السبب في اطلاق قيد (المشروط) على هذا النوع من ترجمة النصوص هو أن ترجمة هذه النصوص كالقرآن هي ((ترجمة كلام الوحي و ليست بالوحي نفسه)).

مترجم النصوص الدينية

عندما نتكلم عن مترجم النصوص الدينية نقصد به الشخص الذي يحمل إضافة الى الميزات العامة لكل مترجم،كاتقانه للغة(language mastery) المنقول منها و اليها،ميزة هامة أخرى هي ((احاطته و سيطرته على المادة الأصلية للنص)) و هذا الشرط له اهمية خاصة لأن عدم الالتزام بهذا الشرط سيجعل فهم النص الديني و لاسيما كلام الوحي مستحيلا و قد يعبر عنه بتعبير خاطئ.

لربما قد يخطر على بال أحدنا أن هذا الشرط قد لا يختص بالنصوص الدينية و قد يحتاجه أي مترجم يقوم بترجمة نص تخصصي كترجمة الشعر مثلا،ولكن علينا أن ننبّه على أن لا أحد يعتبر ترجمة الشعر،شعراً بينما يختلف هذا الأمر في ترجمة النصوص الدينية حسب نظرتنا الى الترجمة ثم أضف إلى ذلك أننا عندما نقوم بترجمة الشعر نكتفي بنقل بعض الميزات و المعلومات الموجودة في النص الشعري، بينما لا يسمح لنا فعل هذا في ترجمة النصوص الدينية أي نقوم بترجمة ما نستوعبه من النص حسب فهمنا دون بعضه.

فالسؤال هنا لو أن نصاً دينياً كُتب بشكل معين وألفاظ بذاتها وتراكيب مخصوصة، ماذا يمكن للمترجم أن يفعل؟ وعندما يتسم نص بالغموض اللاهوتي مثلاً فكيف عساه يتصرف؟

توجد في هذا المجال أيضا نظرتان : إحداها و هي النظرة القديمة -والتي لا تزال سائدة حتى كتابة هذه الكلمات- هي الموافقة الشكلية واللغوية للنص الأصلي حيث تظهر هذه النظرة في ترجمات القرآن مثلاً فنرى أغلب المترجمين يتقيدون بالتراكيب العربية القرآنية، ويحاول مشاكلة ما يعتبرونه قديماً من الألفاظ فيستخدمون ألفاظاً قديمة، وتعبيرات انحسر شيوعها، وقواعد نحوية قلّ مستخدموها. ومن ناحية الشكل نجد ترجمات كثيرة لمترجمين مختلفين قيدوا أنفسهم بترجمة كل آية على حدة واعتبارها وحدة كاملة.

فتجد كل آية جملة تامة، إلا في القليل النادر. و يعاب على المترجم إن هو تصرف فيها من نفسه، فغير وبدل أو تصرف حتى وإن كان التصرف لا يعدو وضع فصلات ونقاط وغير ذلك من علامات الترقيم.(أنظر: لطفي بور ساعدي، 1374، ص180)

و أما النظرة الثانية فهي النظرة الحديثة -والتي بدأت في الظهور ولم تسد سيادة كاملة بعد- هي "محاولة" التخلص من قيود النص باعتبار دينيته، والتعامل معه كنص فحسب. هذه النظرة الثانية فهي التي ترمي إلى التحرر من الشكل بمختلف أنواعه فنجد بعض مترجمي القرآن الكريم يحاولون التخلص من الألفاظ والتعبيرات والتراكيب اللغوية القديمة، في محاولة "لتحديث" النص لغوياً، ولكي يحظى بالقبول عند القارئ الحديث الذي قد يجد الأسلوب القديم معطِّلاً لفهمه، وعائقاً أمام استمتاعه بالنص الذي يقرأه. ويستخدم المترجم لغة عصرية يحاول أن تشتمل على سمات البساطة والسلاسة، بل والسرعة التي هي من سمات العصر كله. ومن ناحية الشكل يحولون النص إلى فقرات كي يشبه في هيئته ما اعتاد عليه القارئ العصر الحاضر.

ولقد تبيّن لنا في الصفحات السابقة حول امكانية ترجمة النصوص الدينية أن مترجم النصوص الدينية يقوم بترجمة هذه النصوص و أن النص المترجَم ليس بوحي و يجب أن لا نطالبه كانسان بأكثر من ترجمة النص و نتقبّل هذا الأمر برحابة صدر أن ما يترجمه ليس بوحي منزّل من السماء.و بما انه انسان قد يصيب و قد يخطأ لأسباب عدة منها: عدم سيطرته التامة على اللغتين، و كثرة المصطلحات الخاصة بالنص الديني، و...

فلو صححنا نظرتنا الى ترجمة النصوص الدينية لعلّنا نفتح المجال أمام المترجمين كي يدلو بدلوهم في ترجمة هذه النصوص و يتشجعوا للدخول في ساحة ترجمة النصوص الدينية.ذكر هذه النقطة

هنا ليست خالية من اللطف أن الترجمات القرآنية التي قام بها مترجمون غير مسلمين أضعاف الترجمات القرآنية التي قام بها المسلمون!؟

فحسب احصائية نشرها مركز ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الأجنبية في مدينة قم في فبراير سنة 2000 :انه قد قام 805 من المترجمين بترجمة القرآن الكريم 86 لغة في 3133 مجلد.ترجم الى اللغة الأردوية على يد 147 مترجم في 691 مجلد، الى الفارسية 122 مترجم 329 مجلد،الى الانجليزية 108 مترجم في 421 مجلد و...

فنؤكد مرة أخرى على أن ترجمة القرآن إلى غير العربية (سواء أكانت من منطلق النظرة الأولى أم الثانية) ليست قرآناً بل هي ترجمة لمعاني القرآن. وتتميز الترجمة من النوع الأول للقرآن فوق ذلك بأنها ترجمة غير وافية بمعاني القرآن و إن الترجمة الجيدة يجب أن تكون ترجمة للمعاني تنطلق من فهم الخصائص البنيوية للغة التي تتم الترجمة منها واللغة التي يترجم إليها، وتأخذ بالاعتبار الموقف أو الحال الذي يقال الكلام فيه.و كما يؤكد نيومارك: ان الترجمة عملية إعادة انتاج نص في لغة الى لغة ثانية و لابد أن يضيع بعض المعنى لأسباب عدة. (أنظر:نيو مارك/2006/ص8) و قد يحتاج التفصيل في هذا الموضوع إلى دراسة مستقلة.

النص الديني و أنواعه

يوجد في استخدام مصطلح ((النص الديني)) بعض الشيء من عدم الوضوح و التعددية، لذا يجب أولاً رفع هذا الابهام و تحديد تعريفه و تقسيماته حتى يسهل القيام بترجمة هذه النصوص للمترجم.
لهذا علينا في الابتداء أن نحدد النص من حيث أنه كلام وحي أم لا؟ فان كان وحياً، أ هو نص قرآني أم من الانجيل أم التوراة؟ و إن لم

يكن وحياً،أ هو أحاديث نبوية أم كتب تفسير أم ...؟ فلتحديد هذه الأمور شأن هام جدا عند ترجمة هذه النصوص.

ولا يخفى على أحد أن على رأس قائمة النصوص الدينية هي النصوص التي يساندها وحي سماوي حقيقي أو مفترض. فالكتب المقدسة في جميع الأديان هي من هذا النوع. أما النصوص الدينية الشارحة فهي في درجة أدنى من النصوص المفترض فيها الوحي أو المصدر الإلهي. وبوضوح أكثر فإن هذا أيضاً من الأمور الشائكة حتى في المناقشات العلمية؛ ذلك أن نظرة المسلم -مثلاً- للقرآن الكريم والحديث الشريف تختلف عن نظرته للكتب المقدسة للأديان والفلسفات والمذاهب الأخرى. ولكن المحك هو أن أصحاب الديانات والمذاهب الأخرى ينظرون إلى كتبهم المقدسة نظرة لا تختلف كثيراً عن نظرة المسلم لكتاب الله وأحاديث نبيه. ومن ثم فإن ما يدور بخلد المترجم المسلم عند محاولة ترجمة القرآن الكريم قد لا يختلف كثيراً عما يدور بذهن المترجم غير المسلم عند ترجمة نصوص كتابه المقدس، مع الأخذ في الاعتبار أن النظرة الدينية للنص الهدف هي نظرة مختلفة أيضاً. فبينما يعتبر الإسلام أي ترجمة للقرآن المجيد أو الحديث الشريف مجرد ترجمة لا تحل محل النص، ولا تقربه في المكانة، فإن من أصحاب الديانات الأخرى ما يعتبرون النص الهدف "نصاً" له نفس القدسية، ولا يفرقون بين النص والترجمة.

للنص المصدر -بالطبع- بريق وتأثير لا يمكن الفكاك منه. فالنصوص الدينية ذات الصيغ الخاصة، والألفاظ ذات المعاني الخاصة تفرض على المترجم قيوداً لا يواجهها عند ترجمة غيرها من النصوص لاسيما إن كانت المفردة تحمل في طيّاتها معنى ثقافيا خاصا يصعب على المترجم نقلها بحذافيرها الى لغة ثانية على الخصوص بين ثقافتين مختلفتين. وهي على الرغم من بشريتها وقصورها بل وغموضها أحياناً لا تسمح للمترجم بحرية كبيرة في التصرف؛ ذلك أن المترجم لا يملك تفسيرها وإن كان يملك ترجمتها.

الاقتراحات و أهم نتائج البحث

و في النهاية و بعد هذا البحث الملخص، نشير الى بعض النقاط و الاقتراحات كنتائج على الترتيب التالي:

1- من الأفضل ترجمة النصوص الدينية على أساس آراء خاصة بالترجمة للنصوص الدينية لا على أساس الآراء العامة للترجمة.
2- علينا عند ترجمة النصوص الدينية أن نحدد نوع النص الديني و صلته بالوحي ثم القيام بأمور الترجمة الأخرى.
3- على مترجم كلام الوحي و منتقدي هذه النوع من الترجمة و حتى قرّاء ترجمة هذه النصوص أن يتقبلوا هذا الأمر منذ البداية أن ترجمة الوحي ليس بوحي.
4- أن نتقبّل احتمال خطأ المترجم في ترجمة النصوص الدينية بتسامح.
5- لمترجم النصوص الدينية غير الوحي أكثر حرية و أقل قيوداً بالنسبة لترجمة نص الوحي.

المراجع

-بعلبكي،رمزي: معجم المصطلحات اللغوية، دارالعلم للملايين، بيروت، 1990.

-گنتزلر،ادوين:نظريه هاى ترجمه در عصر حاضر (contemporary translation theories)،ترجمه علي صلح جو،انتشارات هرمس،تهران،2001.

-لطفي پور ساعدي،كاظم:درآمدي به اصول و روش ترجمه،مركز نشر دانشگاهي،تهران،ط2، 1374.

-مونان،جورج:المسائل النظرية في الترجمة،ترجمة لطيف زيتوني،دارالمنتخب العربي،بيروت،1994.

-موندي،جرمي:درآمدي بر مطالعات ترجمه(**Introducing translation studies**)،ترجمه الهه ستوده نيا و فريده حق بين،نشر علم،تهران،2010.

-نيومارک،پيتر:الجامع في الترجمة،ترجمة حسن غزالة،دار و مكتبة الهلال،بيروت،2006.

-يعقوبي،حسين:زبان،ترجمه، و ارتباط فرهنگها **Language,Translation, and Cultural Communication**)، نشر مركز،تهران،1383.